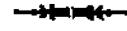


أوليفر جوزيف لودج

OLIVER JOSEPH LODGE

يونيو سنة ١٨٥١ — أغسطس سنة ١٩٤٠

للدكتور أحمد موسى



ليس بين المثقفين من لا يعتبر أوليفر لودج من أئمة علماء العصر ، كما لا يوجد من بين هؤلاء من لم يقرأ شيئاً له أو عنه . وإذا أراد أحد المؤرخين أن يسجل في قائمة أعظم علماء التاريخ من الناحية العلمية ، فإنه يضع اسم أوليفر لودج بين هذه الأسماء إن لم يضمه في مقدمتهم

أنظر إلى حقل من الحقول وسر بنظرك إلى شجيراتك التي غرست في وقت واحد وتمهدا للفلاح بالرى في فترة واحدة ، تر من بينها شجيرة تبرز غيرها وترتفع عنها ، مع أن البذور واحدة والموامل للباقية مشتركة . وكذلك كان الحال منذ بدأ القرن للمثرون ، فظهر في الأفق الملى كثيرون كان من أبرزهم أوليفر لودج الذى خلق في سماء الفكر تحليفاً عجيباً ووصل إلى نتائج من أبهى وأسمى ما يمكن الوصول إليه

لم يكن أوليفر لودج موسيقياً ، ولكنه كان يستمع إلى موسيقى الخلود ؛ فيتخذ من هرمونيتها قواعد وأصولاً يجلبها أساس بحونه في اللانهاية وفي علاقة الشمس والسبارات والكواكب بعضها ببعض ، وكما يحافظ الموسيقى العبقري من أمثال بيتهوفن وفاجنر على الانسجام والاتزان والارتباط للفائق في مقطوعاته ، كان أوليفر لودج يتخذ القاعدة البسيطة إلى المبادئ المركبة ، وينتهى بالنتائج المحدودة إلى ما هو غير محدود وإذا كان العلم رهيناً بالبيئة والاستعداد المولود مع الموهوبين فإن المصادفة قد لعبت دوراً هاماً في توجيه أوليفر لودج إلى العلم كان للفضل في توجيهه لمجلة قديمة اسمها : « الميكانيكي القديم » تناولها سدفنة فأطارت كامن استمداده ، ولم يكن فقر أبيه ليحول بينه وبين العلم ؛ فدرس وحفظ وأتقن وتفنن وتعلم

وعلم من أجل الاستمرار في الدرس ..

ولد أوليفر لودج يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ في بيكنهال بمقاطعة ستافورد بإنجلترا من أبوين متوسطي الحال ، وكان أبوه مشتغلاً بصناعة الخبز ، وقد نعلم الابن في المدرسة الابتدائية في بيوبورت إلى أن بلغ الرابعة عشرة ، واستمر مع أبيه سبع سنوات جمع خلالها بين السلم والعمل ، بحيث لم يكن أبحاهه العلمى متصلاً أقل صلة بحرفته التي كلفه بها واختارها أبوه ، وقد صادف يوماً تلك المجلة التي سبقت الإشارة إليها ؛ فأنكب على الدرس والبحث والاستقصاء ، فاكان من أبيه إلا أن أرسله إلى لندن ليستمع إلى ما يروقه من المحاضرات

رأى الفتى أنه لا بد له من الدراسة الجامعية المنظمة ، ولا بد له من مال ينفقه في هذه السبيل ؛ فاستعان بإعطاء الدروس الخصوصية للحصول على المنققات للضرورة ، وأمكنه بعد الجهد أن يحصل على أسنى شهادة تمنحها جامعة لندن وهي

إجازة الدكتوراه بعد خمس سنوات قضاه في الدرس المرهق وعين في سنة ١٨٧٩ مساعداً للرياضة التطبيقية بجامعة لندن ، وانتخب عضواً في الجمعية الملكية سنة ١٨٨٧ ، وانتقل أستاذاً للملوم للطبيعية في جامعة ليفربول سنة ١٨٨١ وظل فيها إلى سنة ١٩٠٠ حيث انتقل عميداً لجامعة برمنجهام

ومنحه الملك إدوارد السابع لقب فارس سنة ١٩٠٢ وحصل على لقب « سير » فيما بعد

ومن أوائل مؤلفاته « نظرات جديدة في الكهربية » وهو المؤلف الذى ترجمه إلى الألمانية للاملة هلمهولتز سنة ١٨٩٦^(١) وله كتاب ألفه سنة ١٩٠٨ أسماه « الحياة والمادة^(٢) » تناول فيه بالنقد آراء الفيلسوف الألماني هيكل صاحب كتاب « لنز الكون^(٣) » .

وألف بعد ذلك الكثير من الكتب ، وله مقالات ومحاضرات لا ينفادها الحصر ، منها ما ألقاه في الجامعات ومنها ما ألقاه في مجمع

(1) Helmholtz u. Du Bois-Reymond, Leipzig 1896.

(2) Lodge, Leben und Materie, Berlin 1908.

(3) Haeckel, Die Weltraetsel, Bonn 1899

ولعل ما وصل إليه أوليفر لودج كان من نوع الابتكارات المشابهة لتلك التي فاز بها أينشتاين دون مقارنة . وسهما يمكن من شيء فإن للعقل الخصب لا يقف في البحث عند حد ؛ لذلك ترى لون للتفكير الحديث عند لودج بمناه للكامل

يتجه التفكير الحديث إلى تحقيق تأليف كل مادة من جزيئات منفصلة هي ذرات العناصر المركبة من كهارب وبروتونات وهذه هي للشحنات الكهربائية الدقيقة إلى أقصى ما يمكن للعقل أن يتصوره

أخذ هذا المبدع في التفكير على هذا النمط ، وأخذ من للبسيط قاعدة للمركب ، واستطاع إدراك الموسيقى الكونية المبررة عن الكمال المطلق في المارموني الأزلية الأبدية ؛

كان لودج مؤمناً وكان ينبذ مذهب المادية كنتيجة لإيمانه . فتراه يقول : إن العالم لا يمكن أن يكون مادة خالصة ، فهناك رابط وضابط يربط بين الكائنات ويضبط علاقاتها ، وليس هو بالذات مادياً

وما هو الأثير ياترى ؟ أهو مادة ترى أم تلمس ؟ يقول لودج في تعريف صفاته : إنه لا يرى ولا يلمس ولا يسمع ولا يشم . بل هو ناقل الضوء وهو الرابط بين جزيئات المادة ، كما أنه الوسيط لنقل الأشعة الكونية إلى الأشعة اللاسلكية ، والأشعة الكونية تبلغ حداً قصيراً جداً بينما اللاسلكية قد تصل موجتها إلى اثني عشر ميلاً أو أزيد

أما جولاه وصولاته في عالم الروح فهي مشهورة وعظيمة فاعتقاده في بقاء الروح بعد الموت نتيجة لتجاربه التي يقرر في إحداها أنه استطاع التحدث إلى ابنه المتوفى ، وبمال ذلك بقوله : إن الحياة والمقل يدوان في مجال لا يشترط أن يكون مادياً دائماً ، وعلى ذلك فيقاؤهما بعد انحلال الجسم المادي محتمل .

ولم يصل لودج إلى التحقيق العملي في هذا الشأن ، ولذلك فتمالجه الروحية مشار كثير من الجدل ، ولكن هذا لا يمنع من اعتباره واضح النواة لآنجاء لا يعد أن يعيط البحث عنه لتمام

تقدم المعلوم للبريطاني . أما مقالانه فقد نشرت عنها نبذة جيدة في مجلة الطبيعة Nature ومجلة الاكتشافات Discovery وغيرها من المجلات الأمريكية والألمانية والفرنسية والإيطالية

أما الجرائد اليومية التي نشرت له ، فأهمها التيمس التي بدأت منذ فجر القرن العشرين تنشر مقالاته و خلاصة محاضراته عن : « الكهرياء » و « الأتوم » و « المغناطيسية » و « المادة والروح » وغير ذلك

ولم يقف نشاطه عند حد التدريس والتأليف ، بل تعداه إلى الاشتغال العملي كاستشار لإحدى الشركات الكهربائية الكبرى ؛ فقام لديها بتطبيق أبحاثه النظرية في الوقت الذي فيه استفادت الشركة قادة عظمى

وقد ظل مميذاً لجامعة برمنجهام حتى سنة ١٩١٩ ، أي أنه ظل في هذا المنصب عشرين عاماً لا يتوانى عن العمل والإنتاج والسعى وراء ما هو جديد في العلم .

وقد انتخب رئيساً لمجمع المعلوم البريطاني سنة ١٩٣٣ ، ورئيساً للجمعية الطبيعية وجمعية الأبحاث النفسية وجمعية الأئمة المجهولة .

بهذا الوضع ترى أن لودج جمع بين العلم التجريبي والفلسفة ، وكان وسيطه الأثير ، وظل يتفلسف حتى خلق بفكره الصافي وخياله السامي إلى عالم الروح ا

ما هو للفناء ؟ وما حدوده ؟ وماذا يشغله ؟ وما هذه الكواكب المنتورة في رحابه ؟ وما الذي يربط بينها ؟ وما هي المادة ، وم تتكون ؟ وماذا يربط بين القرات ؟

صراع عنيف هذا الذي بين العالم وبين ظواهر الكون ا شجار هائل بين العقل البشري وظاهرة للانهاية . ينظر العالم للبصير إلى الوجود نظرة التأمل ؛ فيرتد منه البصر خائباً وهو حسير ا لقد قال « كانت » في كتابه « نقد للعقل الخالص ^(١) » : إن العقل البشري عرود لا يستطيع اختراق الآفاق للوصول إلى ما يشق قلته ، وهذه حكمة الخالق ا

(1) Kant, Kritik der reinen Vernunft.

